الأديب مصطفى بلمشري لـ«الأدب الإسلامي»

يتسم الواقع الأدبي الجزائري بتنوعه وغنى تجاربه وانفتاحه..

حوار: مختاري بن يوسف - الجزائر

مصطفى بلمشري أديب جزائري، عضو الرابطة الجزائرية للفكر والثقافة، وعضو الجمعية الثقافية الجاحظية، ورئيس الفرع الولائي لاتحاد الكتاب الجزائريين، أسهم في كل ناحية من نواحي الثقافة والأدب بجد ودأب، وأهم ما يتميز به قيامه بالدور الفعال والمشاركة المتواصلة في الحركة الثقافية والأدبية، لقد عرفه القراء بدراساته المتنوعة في الفكر والنقد، فهو المثقف الذي يدعوك للإبحار في تحليل أدبي هادئ، والإنسان المتواضع الذي لا يرى حرجا في مجالسته البسطاء، وهو المهموم بجراحات الوطن، يضمدها بالكلمة الصادقة.

فهو وجه أدبي من مبدعي الشعر الجزائري المعاصر، قلم مطواع ينتج بثقافة محتكمة إلى الوعي والمعرفة، له عدة مؤلفات منها:

- ديوانا شعر، هما قنديل ضوء في العتمة، ولاي ظل أستريح؟.
- الإبداع الشعري الجزائري في الميزان النقدي (دراسة نقدية).
- الرؤية الإبداعية في الأدب الجزائري (دراسة).
- الممارسة النقدية على المحك (دراسة).

ويسرنا أن نجري معه هذا الحوار لاستجلاء بعض زواياه الفكرية:

● ما أبرز ملامح الواقع الأدبي الجزائري وتأثيره في تنمية الوعي الحضاري؟

●● إن أبرز ملامح الواقع الأدبي الجزائري أنه اتسم بتنوعه وغنى تجاربه وانفتاحه على التجريب والتجديد، بحيث قدم لنا هذا الإبداع الأدبي رؤى جمالية للراهن والواقع، كما قدم لنا امتلاكا جماليا ومعرفيا للحياة العصرية، علاوة على ذلك، فقد عالج قضايا عديدة وتطرق إلى مواضيع مختلفة اتسمت بالجدية، وتميزت بطابع الطرافة، مما أثرى الأدب الجزائري، ويضاف إلى ذلك أنه تميز بروح التطور ومواكبة الحضارة الحديثة من خلال هضم معطيات العصر، واستيعاب مفاهيمه وإيصاله إلى الأوساط الثقافية والجماهير الشعبية بصورة فنية إبداعية.

ولعل من المناسب هنا ذكر أن بعض الأدباء الجزائريين قد ارتقوا بالتجربة الإبداعية إلى مرتبة فنية متقدمة، حيث زجّوا بأنفسهم في أتون حركة الجماهير، وشاركوا بفعالية في تقديم رؤيتهم للراهن، وتكثيف المعاناة اليومية وجعلها حالة تأمل وإبداع، وبالتالي كانت تجاربهم الإبداعية مبنية على أسس جمالية وفنية وحسية ناضجة، وهذا له تأثير واضح في تنمية الوعي الحضاري.

● إلى أي مدى ساهم النقد الأدبي في تطوير أوجه الحياة الأدبية وتصحيح مسار العملية الإبداعية؟

●● لعله من المناسب أن نشير هنا إلى أهمية النقد الأدبي في مسايرة الحركة الأدبية توجيها وتقويما وتصحيحا، كما

أنه يعمل على رسم أفضل السبل لبناء نهضة أدبية متينة وجديدة تحفظ للأدباء موقعا فعالا في عصر العولمة الثقافية. وهذا يعني أن النقد الأدبي على أهميته لا يغطي جوانب الحياة الأدبية وتوجهاتها. وغني عن البيان أن الدراسات النقدية التي حاولت أن تتقصى واقع الحركة الأدبية هي قليلة ونادرة. وقلما نجد دراسة أكاديمية جادة تستجيب لمعطيات الإبداع الأدبي وهذا ما أحدث إشكالية حادة في الممارسة النقدية. تتمثل في نأي الناقد عن المناهج العلمية الموضوعية. وابتعاده عن التقويم المنصف العادل. وكذا افتقاره إلى الرؤية الناقدة القادرة على الغوص في النص الأدبي. ولهذا لم يتمكن النقد الأدبي في أكثره من مساءلة النص الإبداعي من داخله واكتشاف مكوناته الجمالية والفنية وقيمه الإنسانية ودلالته الفكرية.

● ما هو تقويمكم للمشهد الثقافي الجزائري؟ وما هي إشكالياته الراهنة؟

●● إن رؤية للواقع الثقافي الجزائري، تكشف لنا ما تعانيه ثقافتنا من حصار وتقهقر وهشاشة. نلمس ذلك في كثير من جوانب حياتنا الثقافية. للأسف الشديد في مستوى التعبير الثقافي بالإضافة إلى القيود الصارمة التي تكبل الحركة الثقافية في المجتمع. سواء أرجعت هذه القيود إلى طبيعة البنية الاجتماعية المتخلفة أم إلى التنافر بين أداء الإعلام وأداء الثقافة.

ومن أسباب التخلف الثقافي، انتشار أشباه المثقفين بوزارة الثقافة، الذين سمحوا لأنفسهم بالتحكم في الفعل الثقافي وتوجيهه حسب

نزواتهم، وبالتالي فهم يشكلون عائقا في وجه المثقفين الحقيقيين، زيادة على استغلال وسائل الإعلام الفراغ الثقافي لنشر نتاج فكري أدبي ثقافي رخيص، غير جاد، منها التلفزة التي تحاول بشتى الوسائل تغييب الإبداع الثقافي وتهميشه، فتراها تخصص حصصا يومية للنشاط الرياضي والغناء الماجن. أما الثقافة فلها حصة كل أسبوع لا تتعدى خمس عشرة دقيقة. حتى الهياكل الثقافية أصبحت مسيرة من قبل موظفين إداريين لا علاقة لهم بالثقافة ولا بالإبداع الأدبي والفكري.

● ما هو السبيل لتجاوز هذا الواقع المتردي في حياتنا الثقافية؟

●● إن مفاتيح تجاوز هذه الأزمة وهذه العراقيل، باتت جلية، وإنه لا مناص في إطار البناء الحضاري من إطلاق عقال العمل الثقافي وإصلاح المنظومة الفكرية، لأن ذلك تقتضيه متطلبات الرقي والازدهار. وقد آن الأوان لكي نحارب نفاهة الثقافة الاستهلاكية وهشاشتها والاستلاب الفكري، واجتناب الانسياق السلبي وراء التيارات الفكرية الغربية الهدامة. وكذا التصدي بكل صرامة لأصحاب الفكر التغريبي المتحرف، ومحاربة أصحاب العقول المتجمدة الذين لا يريدون للنهضة الثقافية أن تزدهر وتحتل حيزا من الفضاء الإبداعي.

● في ديوانك الشعري (قنديل ضوء في العتمة) رمزية شفيفة في العنوان، ما القنديل وما العتمة؟

●● في وسط ممارسة شعرية مكثفة بجدليات الحياة والواقع، العصر، نجد أسرار الوجود الخلق مقتحما العالم في أقصى لحظات التمزق بين الفرح واليأس والحب، ولا يكفي نقل الواقع كما هو، بل يجب صياغته صياغة فنية جمالية، ولهذا فكلمة (قنديل) انزاحت عن موقعها الأصلي وتوسعت دلالاتها اللغطية، لتحتل مكانة جديدة في هذه الصياغة

لتدل على النور الذي يبدد الظلمات ويغسل عتمات الشوارع النائمة. فالقنديل رمز لذلك المثقف الذي يفكر ويثير الدرب لمجتمعه، والعتمة هذه الظلمة التي يعيش فيها المجتمع الذي ما زال متخلفا من ركب التطور والتقدم. هذا المجتمع الذي يعيش في عتمة الجهل والأمية في حاجة إلى من ينير له درب التقدم ليسير في أمان نحو حاضره ومستقبله. وهكذا تكتسب كلمة قنديل بعدا فكريا وظلالا من الموقع الجديد ومن اللفظة (عتمة) التي اتصلت بها، لتوسيع آفاق الأداء الجمالي والإبداعي.

● تجربتك الشعرية : كيف بدأت وما أهم المؤثرات الإيجابية والسلبية فيها؟

●● بادئ ذي بدء.. يجب الاعتراف بأن العجينة التي تشكلت منها تجربتي الشعرية، هي المحيط الثقافي والتربوي الذي نشأت فيه، بحيث كان والدي (رحمه الله) مفتشا تربويا في التعليم الابتدائي، وكانت لديه مكتبة ضخمة تضم جميع أصناف المعرفة، والمراجع الأدبية والنقدية والتربوية، بالإضافة إلى دواوين الشعر العربي في جميع عصورها حتى العصر الحديث، فهذه المكتبة كانت بالنسبة لي المورد والمنبع الذي استقيت منه تكويني الثقافي ومعرفتي الأدبية، كانت تصاحبني هي وأصحابها في كثير من أوقات فراغي، وتجربتي الشعرية كانت ولادتها قيصرية، بحيث كنت أجد رغبة جامحة للكتابة الشعرية، إلا أن المخزون الفكري والثقافي كان يحول دون ذلك، وبمرور الزمن، ومن خلال المعايشة اليومية للشعر العربي، بدأت الرؤية الإبداعية تتضح وتتبلور، بالإضافة إلى ذلك كانت المرجعية الثقافية من أهم المؤثرات في هذه التجربة الشعرية، مع العلم أن الاطلاع على ما أنجزه الشعراء العرب قديما وحديثا، هو الزاد المعرفي الكافي الذي يساعد المبدع على الانخراط في الكتابة الشعرية بوعي فني، وبموقف فكري، بحيث تتحول الرؤية الفنية من رؤية موضوعية خارجية إلى رؤية ذاتية متبثقة من التجارب الاجتماعية والسياسية والمصيرية، لتجسد فيما إنسانية جديدة من خلال رؤية الشاعر للأشياء، رؤية واقعية.

● من أبرز الأصوات الشعرية المعاصرة في الجزائر، وما مدى تأثير المذاهب والمدارس الأدبية المعاصرة فيها؟

●● من أهم أبرز الأصوات الشعرية المعاصرة التي أغنت الحركة الأدبية الجزائرية عامة وأسهمت في بلورة مشروع شعري جزائري متميز من خلال العطاء الشعري المتواصل والمتجدد في الوقت نفسه عبدالقادر السائحي، وعلي ملاحي، ومحمد زراولة، وأبو القاسم سعدالله، وأبو القاسم خمار، وأحمد حمدي، ومصطفى الغماري، وعبدالحميد شكيل، وعمر البرناوي، والطيب معاش، وعبدالله حمادي، وأحمد عاشوري، وغيرهم من الشعراء الذين تميزت تجاربهم الشعرية بالأسلوب الفني، وبالأبعاد الخلقية المرتبطة ارتباطا بارعا ومكثفا، إنسانيا ومصيريا، بإحدى أهم قضايانا التاريخية والاجتماعية الراهنة، وهي قضية فلسطين، ولكي تتضح خطوط هذه التجربة الشعرية الجزائرية، التي ألمحها مجسدة بفن إبداعي تعددت أغراضه وأجواؤه وتنوعت، وقد تأثر أصحابها بمذاهب فنية، كالرمزية والسريالية، والواقعية الجديدة، ومن فضل التفاعل الثقافي والانفتاح الفكري الواعي على الغرب، استطاع بعض الشعراء إغناء تجربتهم بتيار الحداثة وتيار التجريب، سعيا منهم إلى الوصول بهذه التجربة الشعرية إلى النضج الفني والاكتمال الإبداعي، وكان وراء هذا التفتح الثقافي حسّ مرهف، ووجدان متحرك نابض بالحيوية، وقريحة متوقدة.

● ما الساحة التي يحتلها الاتجاه الإسلامي في الشعر الجزائري المعاصر، ومن أبرز شعرائه في رأيك؟

●● إن الشعر الإسلامي في الجزائر يمثل رافدا مهما من روافد

الأدب العربي المعاصر، إنه نوع من الشعر الذي له خصوصيته في طريقة الإبداع، وهو يحتل مساحة محدودة وضيقة من مساحة الشعر بصفة عامة نظرا لقلة الشعراء الذين ينتهجون هذا الاتجاه الإسلامي.

وكل ما كتب من شعر في هذا الاتجاه هو محصور في العقيدة الإسلامية السليمة، والإشادة بالقيم الدينية والأخلاقية التي جاء بها الإسلام، والنص الشعري الذي يحسب في هذا الاتجاه غير مبني بصورة جيدة، فهو يلجأ إلى استعارة أدوات النثر، كالشرح والوصف والتوسيع والمباشرة بغرض توصيل الفكرة إلى القارئ وتوضيحها بشكل جيد، وهو في كل هذا يسعى إلى تكوين وتشكيل الوعي الديني وترسيخ مبادئ وقيم الإسلام في أعماق المجتمع حتى تؤدي العقيدة الدينية تأثيرها في إصلاح سلوك الفرد في أبعاد جديدة تتماشى مع معطيات العصر، وأبرز شعراء الاتجاه الإسلامي، محمد العيد آل خليفة، ومفدي زكريا، ومصطفى الغماري.

● كيف تنظر إلى الشعر الإسلامي في الجزائر حاليا؟

●● لعل أبرز ما ميز الشعر الإسلامي في الجزائر، الانفعال العقائدي بألوانه وصوره المتعددة والعاطفة الدينية المتوهجة، علاوة على ذلك فالشعر الإسلامي - رغم

مفدي زكريا

محمد العيد آل خليفة

فنه - يتمثل في التداخل اللغوي والنقاء الأسلوبي والحرص على تطويع العملية الإبداعية وجعلها قريبة من الذات وجزءا من المألوف في الحياة اليومية، ومن خصائص التجربة في الاتجاه الإسلامي، استعمال التناص الذي هو شديد القرب من التراث الفكري الإسلامي، كتوظيف آيات القرآن الكريم فنيا في نسيج شعري جديد ملائم للعصر، حتى يعطي الصورة الشعرية بعدا جماليا في البناء والتركيب بهدف إنشاء حالة من التواصل بين الشاعر والمتلقي، وتحريك مكامن الروح، والسمو بالفكر حتى يظل الفرد على تواصل مع الحياة الدينية بكل تفاصيلها.

● هناك سؤال جوهري يتعلق بالأدب الإسلامي فهو قد أدى تاريخيا دورا مهما باعتباره روح الأمة النابض، إذا لماذا فشل في وضع برامج ثقافية تتلاءم مع الواقع العربي وطموحه في بناء شخصية المسلم وحمايتها من الاستلاب والغزو الثقافي؟

●● في الإجابة عن هذا السؤال، لا بد من تدقيق صياغته، فهل فشل الأدب الإسلامي في تكوين شخصية المسلم أم أجهضت مشاريعه وقوضت أهدافه؟ ولا بد من الاعتراف بأن الأمة التي يجتاحها الجهل أمة مآلها الفناء، وتبقى عرضة للغزو الفكري والاستلاب الحضاري، من هنا كان لا بد من رفع مستوى التحدي في تبديد الظلمات بإنارة شموع المعرفة الإسلامية وفتح أبواب الفكر والحرية الإبداعية، بدل خنقه وإبادته.. لقد أثبتت التجربة التي خاضتها الأمة العربية أن كوامن القوة في هذه الأمة لا تحتاج سوى لترشيد الخطوات ■